Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التعجب . وقد أورد السيوطي في الأشباه والنظائر القاعدة التي تقول :

" الأصل مطابقة المعنى للفظ " ومِنْ ثَمَّ قالَ الكوفيون : إنّ معنى أفعل به في التعجب أمرٌ كلفظه . وأما البصريون فقالوا إنّ معناه التعجب لا الأمر. وأجابوا عن القاعدة بأن هذا الأصلَ قد تُرك في مواضعَ عديدةٍ ، فليكن متروكاً هنا " .

والتمس ابنُ النحاسِ مبرراً لترك هذا الأصل فقال : إن اللفظ إذا احتيج في فهم معناه إلى إعمال فكرٍ كان أبلغَ وآكدَ مما إذا لم يكن كذلك ، لأنّ النفسَ حينئذ تحتاجُ في فهم معناه إلى فكرٍ وتعب فتكون به أكثرَ كَلَفاً وضنة مما إذا لَمْ تتعب في تحصيله ، وباب التعجب موضعُ المبالغة فكان في مخالفة المعنى للفظ من المبالغة مالا يحصل باتفاقهما " (١) .

ونكادُ نشكُّ في هذه الروايةِ التي أوردها السيوطي، فما نحسب أبدا ولا نتوقع من الكوفيين أن يكونوا على هذا النمط من التفكير الذي يجعلهم يُقرّونَ أنَّ صيغةَ (أفعل به) مراد بها الأمر لا التعجب ، لا سيما أنَّ قاعدةَ اتفاق المعنى للفظ متروكة في مواضع بلاغية كثيرة وأن الحامل أو السبب لترك هذه القاعدة لم يأت به واحدٌ من البصريين ، بل أتى به " بهاء الدين بن النحاس المتوفي عام ثمانية وتسعين وستمائة ويُعد من نحاة مصر" (٢) . ثم إننا نسأل هل كان الكسائيُّ والفراءُ وثعلبٌ وابو بكر الأنباري وغيرُهم من أعلام الكوفة جاهلين أنَّ هذه القاعدةَ قد تُكسر في أحايينَ كثيرةٍ لأسباب بلاغية .

---

(١) الأشباه والنظائر جـ١ ص ٦٣ و ٦٤ بتصرف وتلخيص .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص٦ ط الخانجي سنة ١٣٢٦ هـ .